تأملات في مفهومي الحب والجنس

الدكتور علي أسعد وطفة

مجلة الموقف الأدبي: مجلة أدبية شهرية

تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد 278 يونيو/ حزيران 1994.

الموقف الأدبي

مجلة ادبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق

المدير المسؤول: علي عقلة عرسان

رئيس التحرير: محمد عمران

العدد 278 حزيران 1994

في هذا العدد

أول الكلام

العنف والإرهاب.... ـــــ د.علي عقلة عرسان

الفكر القومي السيّاسي عند جبران ـــــ د.نعيم اليافي

الصوت ـــــ شعر : الياس لحّود

التلقي الشعري بين الذائقة النقديّة والدلالة اللغويّة ـــــ حمادي الزنكري

شمال البلاد / جنوب الجحيم ـــــ شعر : نظيم أبو حسّان

من مذكرات ممسوخ ـــــ قصة: علي مصباح

قصيدة البحر ـــــ شعر : إبراهيم عباس ياسين

تأملات في مفهومي الحب والجنس ـــــ د.علي وطفه

نركيز ـــــ قصة: نزار نجار

الحلم يخترق المدينة ـــــ شعر : صالح محمود سلمان

ثلاثون موتاً وأغنيةً واحدة ـــــ شعر : عبد السلام المحاميد

حرية المرأة بين كاتبتين ـــــ د.غسان السيد

بطاقات شخصيّة للعشق ـــــ شعر :عماد الدين شاتيلا

صَدى البَرَدْ ـــــ قصة: زرياف المقداد

لأكفّر قلبي من نميمة الخطيئة ـــــ شعر : أكرم قطريب

أعلام: شخصية الشاعر عبد السّلام عيون السود ـــــ ممدوح السكّاف

شتاءات في المنفى ـــــ قصة: محمد عبد الرحمن يونس

جمهرات الليلك ـــــ شعر : غالية خوجه

الرؤية والرمز والسخرية ـــــ ناهض منير الريس

من حكايات الملوك ـــــ قصة:حسان يوسف المحمد

مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 278 حزيران 1994

فهرس العدد فهرس الدوريات

تأملات في مفهومي الحب والجنس ـــــ د.علي وطفه

في الحب بين المرأة والرجل تكمن خصوبة الحب الإنساني وأصالته. الحب بالتعريف عاطفة وحالة من التجاذب الوجداني تتعانق فيه مشاعر المرأة و الرجل، وتوجد في صيغة تكامل وجودي خلاف مبدع.

الحب عند فروم سلوك يتضمن الميل إلى شخص آخر، والاهتمام به: "1، 2، 3". ويعرفه في مساق آخر بأنه قهر الانفصال الإنساني والاشتياق إلى الوحدة والاتحاد، "2، 37". وإذا كان الحب اتحاد فهو على حد تعبير فروم نفاذ إلى عمق المحبوب للبحث عن الهوية. يقول فروم: "في فعل النفاذ إلى الشخص الآخر أجد نفسي أكتشف الإنسان "2، 37". فالحب كما يصوره فروم هنا اكتشاف الذات هو فعل انتماء يتجاوز الإنسان فيه اغترابه، وتجزؤه. إنه رؤية شمولية انقلابية تجاه الكون والعالم "3، 88".

ولكنه مع ذلك ليس قوة عليا تهبط على الإنسان "4، 23". بل قوة حية تولد في إطار تجربة الإنسان وتسعى إلى تحقيق اتصاله مع العالم الخارجي، إنه موقف إزاء العالم والكون يتيح للإنسان أن يخرج من حالته الجزئية إلى حالته الكلية ليعانق العالم كله ويتحد معه في صورة مثالية متكاملة.

يأخذ الحب في صورته الواقعية صورة اتحاد جسدي ونفسي بين شخصين "4، 27". وهو كما ترى سيمون دوبوفوار طاقة تجمع بين العناصر المختلفة للعلاقة بين الرجل والمرأة وتهبها معناها ودلالتها "4، 28".

ففي الحب يرتد العاشق إلى وحدته ليخاطب ذاته عن طريق الآخر، والمعشوق هو الصورة المثالية التي يعكسها العاشق عن ذاته ليرى فيها ذاته باكتمالها "15، 88".

الحب والأدب والتصوف:

يزودنا الأدب الإغريقي بأجمل صور عن الحب لن يستطاع استنفاذها واستجواب غناها وأصالتها. فأدبيات أفلاطون في الحب ما زالت تشع ضياء عبر المراحل التاريخية المتدافعة ويتجلى ذلك في المأدبة وفدرس وهي محاوراته في الجمال والشباب. لقد شكلت مقولات أفلاطون في الديالكتيك الصاعد ينبوع المفهوم الفرويدي في الحب الإنساني والتسامي فالإنسان في جدله الصاعد ينتقل من حب موضوعات الجمال إلى حب الجمال ذاته وإلى حب الحقائق الكونية وذلك بتأثير حركة خلاقة تبرهن على وحدة الحب وحيويته(4).

لقد استعار التصوف أيضاً من الحب العذري موضوعه ودوافعه ونماذجه فضلاً عن صوره الشعرية. لقد أدى الحب العذري إلى التقديس الفروسي للمرأة والحب الصوفي إلى التقديس الصوفي له بوصفه جوهر الصلة بالله" "4 ــ 182". من هنا تعلن مارغريت دونا فار أن الله لا يغضب من الحب لأنه يمثل بدرجة أعلى من درجات الوصول إلى الحب المطلق له "4 ــ 6".

أو ليس من الجميل أن نعرض هنا أجمل صورة للحب الصوفي الذي تجلى في أدب المتصوف الكبير محي الدين بن عربي الذي

يقول بيته الخالد الذي يتغنى به العشاق ويهتز له طرباً أهل التصوف:

أدين بدين الحب أنى توجهت

ركائبه فالحب ديني وإيماني(5).

الحب حاجة إنسانية أصيلة:

تقول الحكمة القديمة أنه بالحب يحيا الإنسان، إذ "يمكن للإنسان الاستغناء عن الضوء والأوكسجين ولكنه لا يمكن الاستغناء عن الحب". "4 ــ 124". فالحاجة للحب أصيلة تضرب جذورها في لاشعور المرء ووجدانه.

وهو بذلك يأخذ صيغة نشاط نفسي أصيل في النفس الإنسانية "4 ــ 64".

وتبرز الحاجة إلى الحب المتبادل بين الجنسين كحاجة داخلية أصيلة وفي هذا الصدد يقول ماركس في "العائلة المقدسة" إن العلاقة الأكثر مباشرة وطبيعية وضرورية وإنسانية بين كائن إنساني وآخر هي العلاقة بين الرجل والمرأة". "7 ــ 125".

وإذا كان الحب حاجة دفينة أصيلة في نفس الإنسان "فإنه لا يمكن للإنسان أن يعيش من غير الحب أو أن يتوقف عنه "على حد تعبير نيتشه "4 ــ 20". إذ لا يوجد شيء من غير الحب إذا كنت أريد الحياة فإنني أريد أن أعيش مع المحبوب". "4 ــ 18".

أهمية الحب ووظيفته الخلاقة:

الحب عند أفلاطون: "عامل خلق وإبداع بل هو عامل تربية وتهذيب والتربية ليست شيئاً آخر غير الحضور المستمر للحب". "4 ــ 21".

ويستطيع الحب كما يقول كاردان أن يطور الكائنات الإنسانية وأن يجمع بينها. والإنسان الكامل هو الذي يعيش في دائرة الحب حاباً ومحبوباً. والإنسان كما يرى ذلك الفيلسوف "لن يستطيع أن يصل إلى مستوى نضجه الروحي من غير تأثير مشاعر قادرة على إثارة ذكائه وإزكاء طاقته وهي مشاعر تمتثل مبدئياً في طاقات الحب لديه". "4 ــ 25".

ويقود الحب الإنساني إلى الشعور بالانتماء والوحدة وهو من أشد تجارب الحياة ابتعاثاً للبهجة والإثارة "3 ــ 87". وبالتالي فإن الانفصال يعني السقوط في عبودية الأشياء وفقدان القدرة على الفعل والإثمار "3 ــ 87". ليس الحب حالة سلبية بل "حالة إيجابية" بل هو العطاء وليس التلقي "8 ــ 23". وهو ينبع من الحاجة إلى قهر الانفصال ويفضي إلى الوحدة والتوحد "8 ــ 25".

الحب والجنس:

يتداخل مفهوم الحب والجنس ويتزاوجا. فالحديث عن أحدهما يقتضي الحديث عن الآخر وذلك لما بينهما من علاقات جوهرية عميقة. و مع ذلك فإن الفصل بين المفهومين أمر ممكن إذا أردنا إدراك صيغة العلاقة بينها. فالجنس حالة عضوية بيولوجية

بالدرجة الأولى ولكن الحب يأخذ هيئته النفسية وصيغته الاجتماعية بالدرجة الأولى. والجامع بينهما ضرورة الاتحاد. وإذا كان الجنس اتحاد بين جسدين فإن الحب اتحاد بين نفسين واتحاد بين المشاعر والعواطف الإنسانية النبيلة. ومع ذلك فإن الاتحاد الكامل بين شخصين هو اتحاد النفس والجسد لأن الروح كما يقول نيتشه: "تداعب الجسد في حالة الحب الحقيقية". (4 ــ 28).

إذا كان فرويد يفسر السلوك الإنساني من خلال مبدأ الجنسية، فإن الإيتولوجيا "علم العادات" أظهرت وجود دوافع التعلق العاطفي والحاجة إلى الحب عند بعض العصافير والثديات(7). لذلك فإن المدرسة الايتولوجية تؤكد على أسبقية العاطفية على الحياة الجنسية ويتبدى ذلك في تصرفات الحيوانات العليا التي تظهر أهمية التعلق العاطفي وتبادل الحب والجنس(7 ــ 24) فالجنس حاجة أساسية كالحاجة إلى الطعام والشراب أما الحب فهو عاطفة تعبر في أحد جوانبها عن هذه الحاجة. إذا كان الحب حالة روحية خالصة فإنه لا يمكن أن يكون جوهرياً إلا في إطار علاقته الحيوية بالواقع الجنسي عندما يكون هناك حب بين الرجل والمرأة.

إن الفصل بين الحب والجنسي كما ترى دونا فار هو شكل من أشكال الفجور والفسق والفحش فالحب هو الذي يجمع بين الرجل والمرأة ويهب هذه العلاقة "العلاقة الجنسية معناها" ودلالتها "4، 25".

وفي هذا السياق يقول سانت أوغسطين: "إن الحب شهواتي حتى داخل الروح وروحي حتى في عمق الشهوة" "4، 29". والجنس عند المرأة أحد أهم موانئ النفس الإنسانية على حد تعبير ميشوليه "4، 29".

يرتبط الحب إذاً بالدافع الجنسي ولكن للحب أهميته وحضوره وخصوصيته التي تجعله أكثر سمواً وعظمة وأصالة من الجنسانية.

لأن الجنس تعبير عن غريزة بيولوجية بالدرجة الأولى بينما يعبر الحب عن صيغته الإنسانية وعن دلالته الاجتماعية.

الحب عند الإنسان وفقاً للتصورات الفرويدية ظاهرة نفسية أكثر منها عضوية وذلك ينسحب حتى على المراحل الأولوية الأكثر حيوية أي عند التقارب الجسدي كما يقول روستاند في هذا الصدد: "إن التقارب بين جسدين لا يتم دون حضور اجتماعي". "4، 27".. وهنا تتبدى لنا درجة الصعوبة والتعقيد في الحب الإنساني. "4، 27".

إن الحب بالنسبة للجنس هو كالعطش بالنسبة للماء وهو مؤشر ودليل على الحرمان الجنسي "9، 23". لأنه يتصل بالشخصية في إطار تكاملها فيتجاوز إطار الذات. ولذلك فإن ثورة الدافع الجنسي تهدأ بعد الإشباع بينما يظهر الحب ويملأ حياة الإنسان". "10، 28".

الكبت العاطفي ونتائجه:

لا يتم اكتمال الأنا في شخصية متوازنة منسجمة مع نفسها ومع الآخرين إلا بوجود النضج العاطفي والاجتماعي "1، 201". فالحب يرتبط بالجنس وهذا يرتبط بـــ"التابو" والمحرم "المحرم والمقدس في آن واحد". ويؤدي ذلك كله إلى حالة كبت عميق على لمستوى العاطفي الجنسي"1، 101".

ن أكثرية المشكلات الانفعالية تنجم عن إخفاق المراهق في تكوين علاقة حب متوازية مع أفراد الجنس الآخر "11، 313". فالصداقة مع الجنس الآخر هي الطريق إلى إثبات الذات والشعور بالهوية. لقد بينت أكثرية الدراسات التي أجريت على الشباب أن لمشاكل الجنسية والعاطفية تحتل مكان الصدارة والأولوية بين مشكلاتهم.

تعاني اليوم المجتمعات الإنسانية من أزمة حب وأزمة جنس في آن واحد وهي أزمة ناتجة عن التقنين المتشدد للجنس. وتجد هذه الأزمة منفذها في النقيضين: الطهرية الصوفية من جهة ثم الإسراف في الجنس أو الشهوانية من جهة أخرى "9، 44".

إن للشباب عاطفة متى تشوهت تشوهت ذواتهم وتشوه حاضرهم ومستقبلهم "6، 62". "فعاطفة الشباب هي جانب مصيري من حياته".

(6، 64).

لا يمكن للحب أن ينشأ في فراغ اجتماعي، فهو وليد ذلك التفاعل الاجتماعي الذي يحقق الصلة بين الأنوثة والذكورة ممثلتين في أشخاص أفراد المجتمع. فالحياة الاجتماعية هي الجسور الحقيقية لذلك التواصل هذه وتبين الدراسات الجارية بين الجنسين في مراحل الطفولة والشباب تترك آثارها السلبية في مواقف الجنسين أحدهما من الآخر على نحو دائم(12).

فالحب عاطفة إنسانية نبيلة. إن الجميع يقدسون الحب ويرجمونه بالحجارة في آن واحد "13، 261". إننا نريد الحب أن يعمق إنسانياتنا وأن يوثق ارتباطنا بالحياة "13، 261"؟

إن علاقات المرأة الإيجابية المتقاربة مع الرجل تشكل المناخ الإيجابي في تغيير نظرة الفتاة إلى نفسها واكتساب ثقة أعلى بقدرتها واستعداداتها في مجالات الحياة المختلفة "14، 147".

***

(1) ــ خلدون الحكيم: الشباب وتجديد الهوية: ندوة مشكلات الشباب إلى أين، اتحاد شبيبة الثورة، دمشق 1980.

(2) ــ إيريك فروم: "فن الحب"، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، 1972.

(3) ــ مجاهد عبد المنعم مجاهد: "الإنسان والاغتراب"، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، 1985.

(4) ــ

(5) ــ عبدالوهاب بوحديبة: "الإسلام والجنس"، ترجمة: هالة العوري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1987.

(6) ــ عبد المجيد كركوتلي: المشكلات العاطفية وآثارها في إنتاجية الشباب السوري، ندوة قضايا الشباب ومشكلاتهم، ندوة رقم (13)، اتحاد شبيبة الثورة، سورية، 1980.

(7) ــ عبد اللطيف معاليقي: مشكلة التعلق العاطفي، الفكر العربي المعاصر، عدد (11)، نيسان، 1981، (ص 118 ــ 127).

(8) ــ مجاهد عبد المنعم مجاهد: "الاغتراب في الفلسفة المعاصرة"، سعد الدين، دمشق، 1985.

(9) ــ بو علي ياسين: "الحب والجنس في حكايات شهرزاد"، دراسات عربية، عدد 4، شباط 1983. (ص 27 ــ 55).

(10) ــ مكتب اليونسكو الإقليمي: "التربية المكانية: المراهقة"، كتاب مرجعي، عمان، 1987.

(11) ــ صالحة سنقر: "التربية وقضايا الشباب"، ندوة قضايا الشباب ومشكلاتهم، اتحاد شبيبة الثورة ، ندوة رقم (3) 1983. (ص 295 ــ 313).

(12) ــ قيس النوري: "مشكلات الشباب إلى أين؟" الفكر العربي، عدد/19/، 1981.

(13) ــ ميشيل خياطة: "الشباب كما يعبرون عن أنفسهم في نادي المسيرة"، قضايا الشباب ومشكلاتهم، اتحاد شبيبة الثورة، ندوة 1980، (ص13 ــ 19).

(14) ــ بو علي ياسين: أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي، دار الحوار، اللاذقية، 1992.

(15) ــ عدنان حب الله: "الأنوثة بين الرجل والمرأة"، الفكر العربي المعاصر، عدد /23/، كانون الأول ــ كانون الثاني، 1982 ــ 1989. (ص 85 ــ 96).

E - mail: aru@net.sy

سورية – دمشق – أتوستراد المزة – مقابل حديقة الطلائع – هاتف: 6117240 – فاكس: 6117244